بسم الله الرحمن الرحيم

# ٤٠ فائـدة من كتاب

# اقتضاء الصراط المستقيم

لابن تيمية : ت ٧٢٨ هـ


بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء .



الموقع على النت

www.almotaqeen.net

## فوائد مختارة من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية رحمه الله

١- وجماع ذلك : أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم ، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملاً ، أو لا قولاً ولا عملاً ، وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم .

ولهذا كان السلف : سفيان بن عيينة وغيره يقولون : إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . [ ٥٦ ] .

٢- مع أن الله قد حذرنا سبيلهم ، فقضاؤه نافذ بما أخبر به رسوله مما سبق في علمه ، حيث قال فيما خرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ ( لتتبعن سَنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه ، قالوا: يا رسول الله ! اليهود والنصارى ، قال : فمن ).

فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب ، ومضاهاة لفارس والروم ، وهم الأعاجم .

وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة ، بل قد تواتر عنه ( لا تزال طائفة من أمته ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة ) وأخبر ﷺ ( أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة . [ ٥٧ ] .

٣- قال تعالى (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً .. ) وقال تعالى (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ) .

فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم : تارة بخلاً به ، وتارة اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا ، وتارة خوفاً في أن يحتج عليهم بما أظهروه منه .

وهذا قد يبتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم ، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلاً به ، وكراهة لأن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه ، وتارة اعتياضاً عنه برئاسة أو مال ، فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته أو نقص ماله ، وتارة قد خالف غيره في مسألة ، أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة ، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل .

ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي: أهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم . [٥٩]

٤- قال تعالى (..... وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ) فوصف اليهود : أنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به ، والداعي إليه ، فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له ، وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليه ، مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقادهم .

وهذا يُبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين من المتفقهة ، أو المتصوفة أو غيرهم ، أو إلى رئيس معظم عندهم في الدين – غير النبي ﷺ – فإنهم لا يقبلون من الدين رأياً ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم . [ ٦٠ ] .

٥- وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام – الذي هو الإسلام ، لست أعني مجرد التوسم به ظاهراً أو باطناً بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة – كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطناً وظاهراً أتم ، وبُعدُه عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد . [ ٦٥ ] .

٦- وقد بعث الله محمداً ﷺ بالحكمة التي هي سنته ، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له ، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين ، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر ، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة ، لأمور :

منها : أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال ، وهذا أمر محسوس ، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم ، واللابس لثياب الجند المقاتلة – مثلاً – يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم .

ومنها : أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال .

ومنها : أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر ، حتى يرتفع التميز ظاهراً ، بين المهديين المرضيين ، وبين المغضوب عليهم والضالين . [ ٦٥ ] .

٧- واعلم : أن في كتاب الله من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها عبرة لنا بترك ما فعلوه كثير ، مثل قوله لما ذكر ما فعله بأهل الكتاب من المثلاث ( فاعتبروا يا أولي لأبصار ) وقوله ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ) . [ ٧٠ ]

٨- وقد وصف الله أئمة المتقين فقال (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ) فبالصبر تترك الشهوات ، وباليقين تُدفع الشبهات . [ ٨٠ ] .

٩- فقلّ من تجد في اعتقاده فساداً إلا وهو يظهر في عمله . [ ٨١ ] .

١٠- عن أبي هريرة . عن النبي ﷺ قال ( لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر ، لأن اليهود والنصارى يؤخرون ) وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارى .

وإذا كان مخالفتهم سبباً لظهور الدين ، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله ، فيكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد الشريعة . [ ١٣١ ] .

١١- عن جرير بن عبد الله . قال : قال رسول الله ﷺ ( اللحد لنا والشق لغيرنا ) رواه أحمد وابن ماجه ، وفي رواية لأحمد ( والشق لأهل الكتاب ) .

وفيه التنبيه على مخالفتنا لأهل الكتاب ، حتى في وضع الميت في أسفل القبر . [ ١٤٤ ] .

١٢- عن المعرور بن سويد قال ( رأيت أبا ذر عليه حلة وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك ، فذكر أنه ساب رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فعيّره بأمه ، فأتى الرجل النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال له النبي ﷺ : إنك امرؤ فيك جاهلية ) .

وفيه أن التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية .

وفيه أن الرجل – مع فضله وعلمه ودينه – قد يكون فيه بعض هذه الخصال ، المسماة بجاهلية ، وبيهودية ، ونصرانية ، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه . [ ١٥٤ ] .

١٣- متابعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في أعمالهم ، أنفع وأولى من متابعتهم في مساكنهم ورؤية آثارهم . [ ١٦٢ ] .

١٤- وأيضاً فمما نهانا الله سبحانه فيه عن مشابهة أهل الكتاب ، قوله سبحانه (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ) وهو نهي مطلق عن مشابهتهم ، وهو خاص أيضاً في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم ، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي .

وإن قوماً من هذه الأمة ، ممن ينسب إلى علم أو دين ، قد أخذوا من هذه الصفات بنصيب ، يرى ذلك من له بصيرة ، فنعوذ بالله من كل ما يكرهه الله ورسوله . [ ١٧٥ ] .

١٥- حديث أنس من قول النبي ﷺ ( لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد الله عليكم ... ) .

فقد نهى النبي ﷺ عن التشدد في الدين بالزيادة على المشروع .

والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب : بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات ، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات .

وفي هذا تنبيه على كراهة النبي ﷺ مثل ما عليه النصارى من الرهبانية المبتدعة .

وفيه أيضاً تنبيه على أن التشديد على النفس ابتداء يكون سبباً لتشديد آخر ، يفعله : إما بالشرع وإما بالقدر . [ ١٩٣ ] .

١٦- فقد تبين لك : أن من أصل دروس دين الله وشرائعه ، وظهور الكفر والمعاصي : التشبه بالكافرين ، كما أن أصل كل خير : المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم ، ولهذا عظُم وقع البدع في الدين ، وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار ، فكيف إذا جمعت الوصفين ؟

ولهذا جاء في الحديث ( ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها ) . [ ٢١٠ ] .

١٧- ومما يشبه الأمر بمخالفة الكفار : الأمر بمخالفة الشياطين ، كما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال ( لا يأكلن أحدكم بشماله ، ولا يشربن بها ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها ) ، فإنه علل النهي عن الأكل والشرب بالشمال : بأن الشيطان يفعل ذلك ، فعلم أن مخالفة الشيطان أمر مقصود مأمور به ، ونظائره كثيرة . [ ٢٤٣ ] .

١٨- وروى البيهقي بإسناد صحيح ، في باب كراهة الدخول على أهل الذمة في كنائسهم عن سفيان الثوري عن ثور بن يزيد عن عطاء بن دينار قال : قال عمر ( لا تعلموا رطانة الأعاجم ، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم ، فإن السخطة تنزل عليهم ) . [ ٣٠٧ ] .

١٩- فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به ، بقدر ما اعتاض من غيره ، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ، ويتم دينه ويكمل إسلامه .

ولذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه ، تنقص رغبته وهمته في سماع القرآن حتى ربما كرهه .

ومن أكثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها : لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنّة .

ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم ، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذلك الموقع .

ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم ، لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام . [٣٢٧]

٢٠- فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة ، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدرج الخفي .

وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين ، هم أقل كفراً من غيرهم ، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى ، هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرد الإسلام . [ ٣٣٠ ] .

٢١- وأكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء . [ ٣٣٣ ] .

٢٢- فأما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة، بل سنّة بقول رسول الله ﷺ وفعله في الجماعة. [٣٨٦]

٢٣- والبدعة الشرعية : فما لم يدل عليه دليل شرعي . [ ٣٨٧ ] .

٢٤- أن الشرائع أغذية القلوب ، فمتى اغتذت القلوب بالبدع ، لم يبق فيها فضل للسنن ، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث . [ ٣٩٢ ] .

٢٥- فليس من شرط الصديق أن يكون قوله كله صحيحاً ، وعمله كله سنة ، إذ كان يكون بمنزلة النبي ﷺ . [ ٣٩٣ ] .

٢٦- والواجب على الخلق : اتباع الكتاب والسنة ، وإن لم يدركوا ما في ذلك من المصلحة والمفسدة . [٣٩٣]

٢٧- قال أبو عثمان النيسابوري : ما ترك أحد شيئاً من السّنة إلا لكبر في نفسه . [ ٤٠٢ ] .

٢٨- إذ الأعياد شريعة من الشرائع ، فيجب فيها الاتباع لا الابتداع . [ ٤٠٤ ] .

٢٩- وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال ( سيكون في ثقيف كذاب ومبير ) فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يتشيع للحسين ، ثم أظهر الكذب والافتراء على الله ، وكان فيها الحجاج بن يوسف ، وكان في انحراف عن علي وشيعته ، وكان مبيراً . [ ٤١٠ ] .

٣٠- فإذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به ، وجعل استعانته ودعاءه سبباً للخير الذي قضاه له. [ ٤٦٩ ] .

٣١- وما أحسن ما قال مالك ( لن يصلحَ آخر هذه الأمة إلا ما صلح أولها ) ، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ، ونقص إيمانهم ، عوضوا ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك . [ ٤٧٧ ] .

٣٢- وذلك أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن ، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سنة ذلك المقبور وطريقته ، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه . [ ٤٩٣ ] .

٣٣- ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله ، وتدبره بقلبه ، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره . [ ٤٩٣ ] .

٣٤- والشرك وسائر الابتداع مبناها على الكذب والافتراء ، ولهذا : كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد ، كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب ، كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء ، وأعظمهم شركاً . [ ٥٠١ ] .

٣٥- فتحنثه ﷺ وتعبده بغار حراء كان قبل المبعث ، ثم إنه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته ، وفرض على الخلق الإيمان به وطاعته واتباعه ، وأقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين الذين هم أفضل الخلق ، ولا يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء .

ثم هاجر إلى المدينة واعتمر أربع عمر، وحج معه جماهير المسلمين، لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله، وهو في ذلك كله ، لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء ، ولا يزوروه ، ولا شيئاً من البقاع التي حول مكة . [ ٥٣٣ ] .

٣٦- ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) أي : حسبك وحسب من اتبعك : الله ، فهو وحده كافيكم ، ومن ظن أن معناها : حسبك الله والمؤمنون ، فقد غلط غلطاً عظيماً من وجوه كثيرة مبسوطة في غير هذا الموضع . [ ٥٥٤ ] .

٣٧- كان عمر بن الخطاب يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً . [ ٥٥٨ ] .

٣٨- فإذا كان بعض الدين لله ، وبعضه لغير الله ، كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك ، وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره ( من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان ) . [ ٥٥٩ ] .

٣٩- والشهادة بأن محمداً رسول الله تتضمن : تصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته في كل ما أمر ، فما أثبته وجب إثباته ، وما نفاه وجب نفيه . [ ٥٥٩ ] .

٤٠- ولم يوجد مبتدع إلا وفيه نوع من الشرك . [ ٥٦٠ ] .

الأربعاء : ٧ / ٥ / ١٤٣١هـ

تمت بحمد الله وفضله

أخوكم / سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

الموقع على النت / مجلة رياض المتقين

www.almotaqeen.net